أساليب الخبر والإنشاء في أحاديث كتاب الرقاق من صحيح البخاري
(دراسة بلاغية)

أحمد عادل حامد عبد المقصود
باحث ماجستير في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة السويس

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع أساليب الخبر والإنشاء في نماذج مختارة من كتاب الرقاق من صحيح الإمام البخاري، وقد هدفت هذه الدراسة إلى رصد هذا النوع من الأساليب في هذه النماذج، وكان ذلك بغرض الوقوف على أثر استخدام هذه الأساليب في إيصال المعاني التي يهدف المتكلم إلى إيصالها، وقد انتهجت هذه الدراسة المنهج الأسلوبي بالاعتماد على الوصف والتحليل، وتوصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أهمها: كثرة إقران الأخبار الغيبية التي أخبر بها النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بالمؤكدات اللفظية والمعنوية لترسيخ هذه الأخبار في الذهن، ولنفي التردد أو الشك.

الكلمات المفتاحية: الأساليب – الخبر – الإنشاء – الرقاق – البخاري

Abstract

This study dealt with the topic of news and construction methods in selected models from the book Al-Raqqaq from Sahih Al-Imam Al-Bukhari. This study followed the stylistic approach based on description and analysis, and this study reached a set of results, the most important of which were: the frequent pairing of unseen news that the Prophet (may God bless him and grant him peace) told his companions with verbal and moral affirmations to consolidate these news in the mind, and to negate hesitation or doubt Even if the listener.

Keywords :Methods – news – creation – Al-Riqaq – Al-Bukhari

المقدمة:

لقد انتهجت هذه الدراسة المنهج الأسلوبي بالاعتماد على الوصف والتحليل؛ بغية الوصول إلى الدلالات المتعددة وما بها من جماليات.

وقد احتوت هذه الدراسة على محورين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، وقد جاء المحور الأول بعنوان أساليب الخبر، وتضمن هذا المحور تمهيدا احتوى على التعريف بالأساليب الخبرية، وأنواعها، وأحوالها وأضربها، وتلي ذلك التمهيد التطبيق على نموذجين مختارين من أحاديث كتاب الرقاق من صحيح البخاري.

وقد جاء المحور الثاني بعنوان أساليب الإنشاء، وقد تضمن هذا المحور تمهيدا احتوى على التعريف بالأساليب الإنشائية وأنواعها ومدلولاتها، وتلي ذلك التمهيد التطبيق على نموذجين كذلك مختارين من أحاديث كتاب الرقاق من صحيح البخاري.

وتلي هذين المحورين أهم النتائج التي أسفر عنها البحث.

المحور الأول: أساليب الخبر.

- التمهيد:

الخبر هو ما يصح أن يوصف قائله بأنه صادق فيه أو كاذب، ويتعين الصدق والكذب طبقا للواقع الخارجي، فإن كان الكلام مطابقا للواقع الخارجي كان الكلام صدقا، وإن كان غير مطابق كان كذبا. (١)

ولكل جملة ركنان أساسيان، الأول محكوم عليه ويسمى المسند إليه، وهو الفاعل، ونائبه، والمبتدأ الذي له خبر، وما أصله المبتدأ كاسم كان وأخواتها.

والثاني المحكوم به: ويسمى المسند، وهو مثل الفعل التام، والمبتدأ المكتفي بمرفوعة، وخبر المبتدأ، وما أصله خبر المبتدأ كخبر كان وأخواتها، واسم الفعل،

والمصدر النائب عن فعل الأمر وما زاد على ذلك – غيرُ المضاف إليه والصلةِ – فهو قيد زائد.

وللقيود عدة أنواع؛ فمن ذلك أدوات الشرط، والنفيِ، والمفاعيل، والحال، والتمييز، والتوابع، والنواسخ. (٢)

الغرض من إلقاء الخبر.

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين، فالأول هو إفادة المخاطب الحكمَ الذي تضمنته الجملة، وهو ما يعرف بفائدة الخبر.

والثاني إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، ويُسمى ذلك لازمَ الفائدة.

وقد يُلقى الخبر لأغراض أخرى تُفهم من سياق الكلام، ويكون ذلك لأغراض منها:

١- الاسترحام.

٢- إظهار الضعف.

٣- إظهار التحسر.

٤- الفخر.

٥- الحث على السعي والْجِدّ.

وغير ذلك مما يفهم بالنظر للسياق. (٣)

أضرب الخبر.

للمخاطب الذي يلقى إليه الخبر ثلاثة أحوال: فالأول أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه الخبر، فهذا النوع لا يحتاج أن يلقى إليه الخبر مؤكدا؛ لأنه خالي الذهن، ويسمى هذا الضرب ابتدائيا.

وأما الثاني: فهو المتشكك في الحكم بين التصديق والتكذيب، فيستحسن لهذا النوع توكيد الخبر لإزالة الشك والوصول لليقين، ويسمى هذا الضرب طلبيا.

وأما الثالث: فهو المنكر للخبر، وفي هذه الحالة يجب توكيد الخبر بمؤكد أو أكثر تبعا لقوة الإنكار وضعفه، ويسمى هذا الضرب إنكاريا. (٤)

ويتحدد نوع الضرب المناسب لسوق الخبر –إن كان ابتدائياً، أو طلبياً، أو إنكاريا– بحسب ما يخطر في نفس القائل من أنّ سامعه خالي الذهن، أو متردد في الحكم، أو منكر له. (٥)

وقد يعدل المتكلم أحياناً عن التوكيد، وقد يؤكد ما لا يتطلب التأكيد، لاعتبارات أخرى يأتي ذكرها في الأسطر التالية.

ويكون توكيد الخبر بمجموعة من الأدوات منها إنّ، وأنّ، والقسم، ولام الابتداء، ونونا التوكيد، وأحرف التنبيه، والحروف الزائدة، وقد، وأمّا الشرطية.

خروج الخبر عن مقتضى الظاهر.

إذا ألقي الخبر خالياً من التوكيد لخالي الذهن، ومؤكداً استحساناً للسائل المتردد، ومؤكداً وجوباً للمنكر، كان ذلك الخبر جارياً على مقتضى الظاهر.

وأما إذا خرج الخبر مخالفا لذلك: سمي ذلك خروج عن مقتضى الظاهر.

ويكون ذلك لاعتبارات يلاحظها المتكلم، وتبعا لها قد يخرج المتكلم الخبر مخالفا لمقتضى الظاهر.

ولخروج الخبر عن مقتضى الظاهر أحوال عدة، فمن ذلك:

١- أن ينزل خالي الذهن منزلة السائل المتردد، إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر.

٢- أن يجعل غير المنكر كالمنكر، لظهور أمارات الإنكار عليه.

٣- أن يجعل المنكر كغير المنكر، إن كان لديه دلائلُ وشواهدُ لو تأملها لارتدع عن إنكاره.

وليست هذه فقط هي الأحوال التي قد يخرج بها الخبر مخالفا لمقتضى الظاهر، وإنما يرجع الأمر إلى بلاغة المتكلم الذي يخرج الكلام ويسوقه تبعا لما يرتئيه من حال من يخاطب.

- الحديث الأول

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ المُشْرِكِينَ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ المُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ، فَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا» فَتَبِعَهُ رَجُلٌ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»(٦)

لقد أدرج البخاري رحمه الله هذا الحديث ضمن باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها، ويرجع ذلك إلى المعنى الذي عليه قوام ذلك الحديث؛ حيث إن هذا الحديث قد بين فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) أن العبد قد يعمل بعمل أهل الجنة –فيما يرى

الناس– ولكنه في الحقيقة من أهل النار؛ وذلك ليس ظلما له، وإنما لخبيئة في نفسه علمها الله ولم يعلمها أحد من الناس.

وعلى العكس، فقد يكون العبد في أعين الناس من أهل النار –لسوء ظنهم في عمله– ولكنه عند الله قد يكون من أهل الجنة، ربما لتوبة صادقة تابها قبل الموت، وربما لغير ذلك.

وقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "إن العبد ليعمل، فيما يرى الناس، عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار"، فهو خبر مؤكد ب(إن) و(اللام) "، ودلالة التوكيد على هذا الخبر بمؤكدين في هذا السياق: توحي بعظم هذا العمل في أعين الناس وحسنه ورونقه، كما يوحي بكثرة العمل، ونصب العامل وحرصه عليه، غير أن الجملة الاعتراضية التي تلت هذا الكلام –وهي قوله: "فيما يرى الناس"–، هدمت ما قبلها وذلك لأن هذه الجملة دلت على أن الحقيقة بخلاف ما تبدو عليه.

وفي هذا دليل على أن باطن هذا العبد لا يوافق ظاهره، ولهذا حق عليه العذاب.

وقوله: "فيما يرى الناس" فإن كلمة الناس قد وردت في هذا السياق معرفة ب(ال) العهدية، وفي هذا دلالة على اجماع الناس لا خلاف بينهم على حسن ذلك العمل وعظمه، حتى يكاد الناس يرون أنه لا يمنع ذلك العبد عن الجنة إلا أن يموت.

وفي قوله: "عمل أهل الجنة"، إيجاز قصر، حيث ضمن النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه الجملة جميع الأعمال الصالحة التي توجب الجنة لصاحبها من صلاة وزكاة وصيام وحج وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

وأما قوله: "وإنه لمن أهل النار"، فإن التوكيد ب(إن) و(اللام) على هذا الخبر، يقابل التوكيد السابق في قوله: "إن العبد ليعمل"، فكأن النبي (صلى الله عليه وسلم) أراد أن يؤكد لأصحابه أن العبد قد يعمل وينصب في عبادته، غير أنه قد وجبت له

النار على الرغم مما ظهر من حسن عمله –الذي لا يخفى على أحد من الناس– وذلك لخبيئة في قلب ذلك العبد خفيت على الناس ولم تخفى على الله.

وفي هذا التوكيد خروج للكلام عن مقتضى الظاهر، إذ أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد أكد على كلامه بمؤكدين –وهما (إن) و(اللام)– من غير إنكار من المخاطب، غير أن المقام يقتضي ذلك لما يخالف به المعهود، إذ المتوقع أن من يعمل من الصالحات هو من أهل الجنة، وأن من يعمل السيئات هو من أهل النار، ولذلك استخدم النبي (صلى الله عليه وسلم) أسلوب التوكيد.

وقد دل قوله: "فيما يرى الناس" على أن باطن هذا العبد بخلاف ظاهره.

وقد أتى هذا الخبر المؤكد بمثابة توضيح وتبيين من النبي (صلى الله عليه وسلم) لما سبقه من موقف تعجب منه أصحابه رضوان الله عليهم، وكذلك بمثابة الجواب على ما جال بخواطرهم من تساؤلات واستفهامات عديدة، فكيف أن رجل كانوا يحسبوه من أهل الجنة لما رأوه من جهاده وجلده يقول عنه النبي (صلى الله عليه وسلم): "من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إلى هذا".

وقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إلى هذا"، فهو إنشاء غير طلبي، تمثل في أسلوب الشرط، ودلالة أسلوب الشرط في هذا السياق توحي بالتشويق للصحابة؛ أن رجل من بينهم قال عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) –وهو الذي لا ينطق عن الهوى–: أنه من أهل النار، فكان في ذلك حث للصحابة أن يرقبوه جيدا حتى يروا ما يصنع، وكيف أنه بعد أن كان في أعينهم رجل من خيار الناس وأنه مجاهد في سبيل الله يقاتل المشركين لا يترك منهم شاردة ولا واردة، يصير بعد ذلك من أهل النار، ليتجنبوا صنيعه ويعتبروا به.

وقد أتى جواب الشرط في هذا السياق على صيغة الأمر الذي غرضه الإرشاد، ودلالة هذا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أراد أن يقول لأصحابه: انظروا جيدا إلى ذلك الرجل، وانظروا إلى عمله –الذي ترونه عمل أهل الجنة–، فإن ذلك الرجل حقيقة هو من أهل النار.

وفي هذا تحذير للصحابة وتخويفا لهم أن الله مطلع على سرائرهم وبواطنهم، حتى لا يأمنوا مكر الله، فقد ذم الله تعالى من أمن مكره فقال: أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ [سورة الأعراف: ٩٩].

وكذلك حتى لا يغتروا بأعمالهم، فإن العباد لا يدخلون الجنة إلا برحمة الله كما دل على ذلك غير نص من القرآن والسنة. (٧)

ويحتمل أن يكون للإتيان بقوله (من) في السياق في قوله "من أحب أن ينظر" يحتمل أن تكون للاستفهام لا للشرط، وعليه فإن قوله: "من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار"، هو أسلوب استفهام، غرضه التشويق، ودلالته في هذا السياق هي تذكير النبي (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه بوعيد ربهم حتى يحذروه، وحتى يستعيذوا بالله منه، فكأن النبي (صلى الله عليه وسلم) أراد أن يقول: من منكم يحب أن يرى رجلا من أهل النار –التي أعدها الله للمجرمين– فإن كنتم ترغبون في ذلك: فانظروا إلى هذا الرجل فهو من أهل النار.

وقد جاءت كلمة النار معرفة بال العهدية، والغرض منها في هذا السياق هو إشارة النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى نار جهنم التي أعدها الله للمجرمين العاصين، وفي هذا تذكير بعذاب النار، وفيه حث للصحابة أن يتعوذوا منها بالأقوال والأفعال التي تنجي منها، وأن يتجنبوا ما يوصل إليها ويوجبها.

ومما يزيد من التخويف والتحذير من عذاب النار، قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "رجل من أهل النار" فإن استخدام النبي (صلى الله عليه وسلم) لمن التبعيضي، فيه إشارة إلى كثرة أهل النار، وأن هذا الرجل واحد من هؤلاء الكثر الذين سيدخلون النار.

وفي قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "فلينظر إلى هذا"، إيجاز حذف، حيث حذفت كلمة الرجل من السياق وذلك لأن حذفها هو أبلغ وأوقع في النفس، لأن الوقوف على كلمة هذا فيه إشارة من النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى التمعن والتأمل في صنيع ذلك الرجل –الذي هو في الأساس عمل صالح–، ومع هذا فإن صاحبه من أهل النار، لينشأ بداخل الصحابة نوع من التعجب والاستغراب والاستثارة المطلوبة حتى يعلم الصحابة أن الأعمال ليست دائما على ظواهرها أو على ما تبدو عليه، وإنما هي بعلم الله لما يكن هذا العبد في صدره، وبحسب نيته التي لا تخفى على الله.

ومما يدل على نجاح الأسلوب الذي اتبعه النبي (صلى الله عليه وسلم) في تحذير الصحابة وتخويفهم من عذاب ربهم قول الراوي: (فتبعه رجل)، وفي هذا دلالة على حرص الصحابة على تجنب ما يؤدي بهم إلى أن يكونوا من أهل النار، كما تدل الفاء على السرعة والتعجل في معرفة سبب هلاك الرجل، بغية طلب النجاة وتجنب ما أدى به إلى ذلك.

ويدل ذلك أيضا على شدة إيمان الصحابة، وعلى يقينهم فيما يأتهم عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وقد أراد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يكمل المعنى لأصحابه بأن يعلمهم أنه كما أنه لا ينبغي لأحد أن يحكم لأحد بالجنة، فكذلك لا ينبغي لأحد أن يحكم على أحد بأنه من أهل النار بالنظر إلى عمله، فكِلا الأمرين بيد الله وحده.

فقال (صلى الله عليه وسلم) "ويعمل فيما يرى الناس، عمل أهل النار وهو من أهل الجنة"، وقد أتى هذا الخبر مغايرا للخبر الأول إذ لم يؤكد هذا الخبر بأي من المؤكدات،

ودلالة ذلك هي أن هذا الخبر أهون بكثير في التصديق من الخبر الأول وليس هذا الخبر مما تعجب منه العقول كما الخبر الأول وذلك لأن رحمة الله تعالى قد وسعت كل شيء (٨) وأن رحمته سبحانه وتعالى قد سبقت غضبه (٩) فلا عجب أن يرحم ربنا عباده ويغفر لهم على ما كان منهم ويدخلهم الجنة إن شاء فإن الله يخرج يوم القيامة من النار أقواما ويدخلهم الجنة من غير عمل عملوه ولا خير قدموه. (١٠)

فقوله: "عمل أهل النار"، هو إيجاز قصر، تضمن كل الأعمال التي توجب لصاحبها النار.

والغرض من ذلك هو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أراد أن يعلم أصحابه أنهم مهما راو من العبد لا يحكموا عليه بأنه من أهل النار، فلربما كان نظرة الناس له نابعة عن سوء ظن أو جهل، أو ربما كان العبد عاصيا ولكنه يتوب إلى الله قبل موته.

وقد دلت على هذا المعنى نصوص كثيرة من السنة النبوية. (١١)

وقد جاءت كلمة الجنة معرفة ب(ال) العهدية، للتأكيد على الجنة التي أعدها الله للصالحين، والتي خلقها الله بيده، وفي هذا دلالة وتذكير للصحابة أن الحكم بيد الله وحده يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، وأنه لا معقب لحكمه ولا راد لفضله.

وأما قوله: "وإنما الأعمال بخواتيمها"، أسلوب قصر، أكد به النبي (صلى الله عليه وسلم) على أن الأعمال لا تقاس بظاهرها، وإنما تقاس بخواتيمها، وفي هذا حث للصحابة على الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية حتى الممات خشية أن يختم لهم بسوء.

وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللهُ عَلَيْهِ". (١٢)

والغرض من الوصل بين الجملتين في قوله: " إن العبد ليعمل، فيما يرى الناس، عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس، عمل أهل النار وهو من أهل الجنة": هو وصل لكمال الاتصال بين الجملتين، ودلالة ذلك هي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أراد أن يقرن الحالين معا، حتى تترسخ الصورتين في ذهن السامع، وحتى لا يتسرع في الحكم، وحتى لا يقضي لأحد بجنة أو نار، فإن السرائر لا يعلمها إلا الله.

- الحديث الثاني

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ». (١٣)

لقد أدرج البخاري رحمه الله هذا الحديث ضمن باب حفظ اللسان، وذلك لأن هذا الحديث هو أصل في هذا المعنى، فهذا الحديث يبين خطورة الكلمة التي قد لا يأبه إليها المرء –على الرغم من أثرها العظيم–.

وقد أكد النبي (صلى الله عليه وسلم) على أهمية الكلمة الطيبة فقال: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا، يرفعه الله بها درجات".

فقد استخدم النبي (صلى الله عليه وسلم) لتوكيد هذا الخبر مؤكدين، وهما (إن) و(اللام)، وفي هذا خروج للكلام عن مقتضى الظاهر؛ وذلك لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد أنزل غير المنكر منزلة المنكر؛ حيث إن هذا التوكيد لم يكن نتيجة لإنكار المخاطب أو لشك منه، ولكن السياق اقتضى التوكيد لمعرفة النبي (صلى الله

عليه وسلم) بأن هذا الأمر قد تعجب منه العقول؛ وذلك أن المرء قد يتغير مصيره بكلمة واحدة، ولهذا استدعى السياق التوكيد بأكثر من مؤكد.

وفي الإتيان بكلمة العبد معرفة بال العهدية تذكير من النبي (صلى الله عليه وسلم) للأمة بأنهم عباد لله وحده، فإذا عرفوا ذلك: اتقوا سيدهم وراقبوا نظره إليهم فيما يصدر عنهم من أقوال وأفعال، فيرجوا رحمته؛ فلا يتكلمون إلا بما رضي هو من طيب الكلام، وخافوا عذابه؛ فلا يصدر عنهم ما لا يرضيه أو يسخطه. (١٤)

ومن السياقات القرآنية التي تتناسب مع هذا المعنى قوله تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}. [سورة ق: ١٧/١٨]

ولذا فيجب على المرء ألا يطلق العنان للسانه، وأن يلجمه قبل أن يورده المهالك، كما يجب عليه أن ينظر فيما يريد أن يتفوه به، فإن كان خيرا أمضاه وإلا فلا، كما حث النبي (صلى الله عليه وسلم) على ذلك في أحاديث كثيرة. (١٥)

وقد دل الفعل المضارع في قوله: "ليتكلم" على التجدد والاستمرار، وفي هذا إشارة إلى أن العبد الذي يرضى عنه ربه ويدخله الجنة لا بد أن يكون ملتزما بطيب الكلام الذي يرضي الله طيلة حياته، لا ينفك عنه حتى يلقى الله وهو على هذا الحال.

وقد تعددت السياقات النبوية التي أمر فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه وأمته بلزوم الكلام الطيب وهجر الفحش والباطل. (١٦)

وقد جاء قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "بالكلمة"، معرفا بالألف واللام وجاءت بالإفراد؛ للدلالة على التقليل والتصغير.

وفي هذا تنبيه من النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى عدم الاستخفاف بالكلمة الطيبة، فربما كانت سببا في نجاة صاحبها يوم القيامة، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ". (١٧)

وهذا المعنى هو ما تؤكده الجملة الاعتراضية في قوله: "لا يلقي لها بالا".

ويوافق هذا المعنى سياق مغاير من السنة النبوية وهو قوله (صلى الله عليه وسلم): " يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَلَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ، مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ". (١٨)

وفي هذا حث على الإكثار من طيب الكلام، فلعل كلمة طيبة أن تأخذ بصاحبها إلى الجنة وتباعده عن النار.

وفي قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "ليتكلم بالكلمة من رضوان الله"، إيجاز قصر؛ حيث ضمن النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله: "من رضوان الله"، جميع الكلام الطيب الذي يحبه الله وجرضاه من ذكر ونصح وأمر بمعروف وإدخال السرور على المسلمين ونحو ذلك.

وقوله: "رضوان"، توحي بحسن الكلام وطيبه وعظيم أثره في النفس، حتى يصل إلى رضوان الله وهو أسمى آمال المؤمن. (١٩)

وفي قوله (صلى الله عليه وسلم): "يرفعه الله بها درجات"، حذف دل عليه السياق؛ إذ إن أصل الجملة هو يرفعه الله بها درجات في الجنة، ولكن المتعلق بالفعل حذف لغرض بلاغي وهو التعظيم، وفي هذا دفع للمخاطب إلى أن يتخيل نعيم الجنة، وعظم ما فيها.

وامتناع النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ذكر جملة (في الجنة)، فيه موافقة لقول ربنا في الحديث القدسي: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ». (٢٠)

وهذا الحديث يمثل قمة التشويق واستثارة الذهن؛ حيث أخبر تعالى في هذا الحديث أن ليس شيء في الجنة مثل ما في الدنيا، ولكن الله تعالى ذكر في كتابه وسنة نبيه بعض مما يمكن تصوره من النعيم، وأخفى عنهم ما لم يعرفوه ولم يروا مثله ولم يسمعوا مثله ولا حتى خطر على قلب بشر من قبل.

وللمد في قوله (صلى الله عليه وسلم): (درجات) دلالة صوتية؛ إذ يوحي المد في قوله: (درجات) بعظم درجات الجنة ورفعتها.

ويتناسب مع هذا المعنى من الحديث الشريف ما رواه الصحابي الجليل عبادة بن الصامت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "فِي الجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلاَهَا دَرَجَةً وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ الأَرْبَعَةُ، وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ العَرْشُ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ". (٢١)

وأما قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله"، فهو أسلوب خبري مؤكد ب(إن) (واللام)، وقد سبق التفصيل في دلالة هذا الأسلوب ودلالة توكيده في الشطر الأول من الحديث الشريف.

وقوله ليتكلم بالكلمة من سخط الله، فهو إيجاز قصر؛ حيث ضمن النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله "ليتكلم بالكلمة من سخط الله"، جميع الأقوال التي يبغضها الله ويبغض قائلها وتكون سببا في إدخال قائلها إلى النار. (٢٣)

ودلالة الجملة الاعتراضية "لا يلقي لها بالا"، توحي بشدة استهانة هذا العبد بما يخرج من فيه من كلام، ويوحي كذلك بغفلته عن مراقبة الله وجهله بأن الله سميع عليم.

وتكمن خطورة هذه الاستهانة في أنها قد تصل بصاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام وهو لا يدري ولا يلقي لما قاله بالا.

ويوافق هذا المعنى سياق قرآني مشابه وهو قوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} [التوبة: ٦٥-٦٦]

فقد نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يتغامزون على النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن معه من المؤمنين، فعندما علموا أن الله تعالى أخرج ما كان في قلوبهم وأخبر به رسوله (صلى الله عليه وسلم)، قالوا إنما كنا نخوض ونلعب. (٢٣)

ومثل ذلك من يؤذي المسلمين بلسانه غافلا عن سمع الله له وعلمه بصنيعه، فمن ذلك قوله تعالى: {يأيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [سورة الحجرات: ١١]

وفي هذا حث على اجتناب مثل هذه الأفعال والأقوال المشينة من همز ولمز واحتقار وغير ذلك.

كما وصف تعالى مثل هذه الأفعال الشنيعة بأنها فسوق بعد إيمان، للتحذير من خطورة إتيان مثل هذه الأفعال.

وأما قوله (صلى الله عليه وسلم): "يهوي بها في جهنم"، فإن الفعل المضارع يهوي يوحي بشدة بعد قعر جهنم وعمقها، ويتناسب مع هذا المعنى سياق مشابه من السنة النبوية، فعن أبي هريرة، قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا». (٢٤)

وقد استخدم النبي (صلى الله عليه وسلم) الفعل المضارع –يهوي– دون غيره من الأفعال التي تؤدي نفس المعنى؛ لمناسبته للسياق أكثر من غيره، فكأن هذا العبد عوقب باستهانته بخطورة الكلمة واتباعه للهوى في قوله لما يريد وقتما يريد، بأنه يهوي في جهنم، فبين يستهين وهوى ويهوي مناسبة صوتية فكأن النبي (صلى الله عليه وسلم) دلل على ذلك للتأكيد على أن الجزاء من جنس العمل.

وقد حثت أحاديث كثيرة على عدم الاستهانة بالكلمة لخطورتها ولأنها قد تكون سببا في هلاك صاحبها ودخوله النار. (٢٥)

وفي قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "يهوي بها في جهنم" ذكر للمتعلق بالفعل للتخويف والحث على اجتناب جهنم وما يؤدي إليها من قول أو عمل.

وقد حذف النبي (صلى الله عليه وسلم) المتعلق بالفعل في الشطر الأول من الحديث في قوله: "يرفعه الله بها درجات"؛ لأنه أبلغ في هذا السياق لما فيه من إطلاق العنان لفكر المتلقي في نعيم الجنة وما أعد الله فيها للمتقين.

وعلى العكس من ذلك، فقد ذكر (صلى الله عليه وسلم) المتعلق بالفعل في قوله يهوي بها في جهنم لأن ذكر المتعلق بالفعل في هذا السياق هو أبلغ لما فيه من تخويف وحث على اجتناب النار وما يؤدي إليها.

وبين الشطر الأول من الحديث "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا، يرفعه الله بها درجات"، والشطر الثاني "وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم": مقابلة تؤكد المعنى في النفس وتزيده بيانا ووضوحا.

وبين الشطر الأول والشطر الثاني: وصل دل على المناسبة التامة، وفي هذا دفع للمخاطب للزوم الكلام الطيب حتى يدخله ربه الجنة، والحذر كل الحذر مما يسخط الله تجنبا لدخول النار.

المحور الثاني: أساليب الإنشاء

- التمهيد

الإنشاء هو ما لا يصح أن يوصف قائله بأنه صادق فيه أو كاذب، (٢٦) وهو نوعان: طلبي وغير طلبي، (٢٧) فالطلبي ما يستدعي مطلوباً غيرَ حاصل وقتَ الطلب، وأنواعه: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتمني، وغير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوباً، وله صيغ. منها: التعجب، والمدح، والذمّ، والقسم، وأفعال الرجاء، وكذلك صيغ العقود. (٢٨)

أولا: الأمر.

الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، وله أربع صيغ، وهي: فعل الأمر، والمضارع المقرون بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر.

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام؛ كأن تأتي بغرض: الإرشاد، والدعاء، والالتماس، والتمني، والتخيير، والتسوية، والتعجيز، والتهديد، والإباحة. (٢٩)

ثانيا: النهي.

النهي هو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة، وهي المضارع مع لا الناهية.

وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال؛ كالدعاء، والالتماس، والتمني، والإرشاد، والتوبيخ، والتيبيس، والتهديد، والتحقير.٣٠

ثالثا: الاستفهام.

الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبلُ، وله أدوات كثيرة منها: الهمزة، وهل، ومن، وما، ومتى، وأيّانَ، وكيف، وأين، وأنّى، وكم، وأيّ. (٣١)

أولا: (الهمزة):

يطلب بالهمزة إما التصور أو التصديق، فالتصور هو إدراك المفرد والتصديق هو إدراك الحكم أو النسبة، وتأتي الهمزة متلوة بالمسؤول عنه في الحالة الأولى وقد يذكر له معادل بعد أم. (٣٢)

وأما الحالة الثانية فلا تحتاج إلى ذكر معادل

ثانيا: (هل):

يطلب بها التصديق ويمتنع معها ذكر المعادل.

ثالثا: (مَن):

يطلب بها تعيين العقلاء.

رابعا: (ما):

يطلب بها شرح الاسم أو حقيقة المسمى.

خامسا: (متى):

يطلب بها تعيين الزمان في الماضي أو المستقبل.

سادسا: (أيّانَ):

يطلب بها تعيين الزمان المستقبل خاصةً، وتستخدم في الغالب للتهويل.

سابعا: (كيف):

يطلب بها تعيين الحال.

ثامنا: (أين):

يطلب بها تعيين المكان.

تاسعا: (أنّى):

تأتي لمعانٍ عدةٍ: فتكون تارة بمعنى كيف، وتارة بمعنى مِن أين، وتكون تارة بمعنى متى.

عاشرا: (كم):

يطلب بها تعيين العدد.

الحادية عشرة: (أيّ):

يطلب بها تعيين أحد المتشارِكَيْنِ في أمر يعمّهما. ويُسأل بها عن الزمان، والحال، والعدد، والعاقل، وغير العاقل؛ على حسب ما تضاف إليه.

وجميع هذه الأدوات المتقدمة يطلب بها التصور، ولذلك يكون الجواب معها بتعيين المسؤول عنه. (٣٣)

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام هذه عن معانيها الأصلية لمعانٍ أخرى تفهم من سياق الكلام: كالنفي، والإنكار، والتقرير، والتوبيخ، والتعظيم، والتحقير، والاستبطاء، والتعجب، والتسوية، والتمني، والتشويق. (٣٤)

رابعا: التمني.

التمني هو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله؛ وذلك إما لكونه مستحيلاً، وإما لكونه ممكناً ولكن لا يُتوقع نيله. (٣٥)

وأداة التمني هي (ليت)، ولكن قد يُتمنى بهل ولو ولعلَّ تبعا للأغراض البلاغية. (٣٦)

وأما إذا كان الأمر المرجو يرجى حصوله ويُتوقع ويُنْتَظَرُ: فإن ذلك يخرج عن إطار التمني ويكون ذلك تَرَجّياً، ويُستخدم في الترجي (لعل) أو (عسى)، بدلا من (ليت) غير أن هذه القاعدة قد تكسر تبعا للغرض البلاغي فتستخدم ليت أحيانا للترجي. (٣٧)

خامسا: النداء.

النداء طلب الإقبال بحرف نائب مَنابَ (أدعو)، وله ثمانية أدوات وهي: الهمزة، وأيْ، ويا، وآ، وآيْ، وأَيَا، وهَيَا، ووَا. (٣٨)

ويُستخدم كل من الهمزة وأيْ لنداء القريب، وغيرهما لنداء البعيد. (٣٩)

وقد يُنزَّل البعيد منزلةَ القريب فينادى بغير الهمزة وأيْ؛ في إشارةٍ إلى علو مرتبته، أو انحطاط منزلته، أو غفلته وشرود ذهنه.

وقد يخرج النداء عن معناهُ الأصليّ إلى معانٍ أخرى تستفاد من القرائن؛ كالزجر، والتحسر، والإغراء، وغير ذلك. (٤٠)

- الحديث الأول

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ، وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، كَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ إِلَى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ البَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ العَلاَءَ بْنَ الحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ، فَوَافَتْهُ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ».(٤١)

لقد خشي النبي (صلى الله عليه وسلم) على أمته الافتتان بالدنيا حين رأى حرصهم على أن يغنموا شيئا من متاعها، فأراد (صلى الله عليه وسلم) أن يبين لهم خطر الافتتان بهذه الدنيا، وأنها غرارة تغر الناس وتصرفهم عن الهدف الأسمى والغاية الأعلى، وهي عبادة الله والاستعداد للقائه.

فبدأ النبي (صلى الله عليه وسلم) حديثه إليهم باستفهام تقريري، غرضه دفع المخاطب إلى البوح والإقرار بما في نفسه، فقال: "أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة، وأنه جاء بشيء".

وقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (شيء) بالتنكير، فهو للدلالة على تحقير هذا الشيء الذي أتوا في طلبه، وفي هذا إشارة إلى خطورة تعظيم الدنيا في قلب المؤمن، وتذكير للصحابة الكرام بأن الدنيا بأسرها لا تساوي عند الله شيء.

وهذا ما يفسر تبسم النبي (صلى الله عليه وسلم) حين رأى أصحابه؛ فإن تبسمه دل في هذا السياق على شدة التعجب مما رآه من حرص أصحابه على أن يغنموا شيئا.

ولا يفهم من السياق أن هذا التبسم دليل على الغضب، كما ورد في سياق آخر، في حديث توبة كعب بن مالك –رضي الله تعالى عنه–، عندما تخلف عن غزوة تبوك، فذهب إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ليعتذر إليه، فلما دخل على النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "فلما رآني تبسَّم تبسُّم المغضب، ثم قال: «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» ". (٤٢)

والسبب أن السياق لا يحتمل أن يكون تبسم النبي (صلى الله عليه وسلم) هو تبسم المغضب: هو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يعلم حال هؤلاء الصحابة الكرام من فقر وفاقة وحاجة شديدة؛ ولذا فلم يكن غاضبا من فعلهم، وإنما كان متعجبا.

وقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (فأبشروا وأملوا ما يسركم)، فإن الغرض من الأمر في هذا السياق هو بث الطمأنينة في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم، ودلالته في هذا السياق توحي بالتوكيد، أي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أراد أن يطمئنهم أن لهم ما أرادوا.

وقد جاء هذا التوكيد من غير إنكار أو تردد من المخاطب، غير أن هذا التوكيد قد عكس ما رآه النبي (صلى الله عليه وسلم) في وجوه أصحابه، من الحرص على المغنم مما جاء به أبو عبيدة، حتى باتوا وكأنهم يخشون أن لا ينالوا شيئا؛ فأكد لهم على أن لهم ما أرادوا دون تصريح منهم بذلك، وفي هذا خروج عن مقتضى الظاهر.

وقد أراد النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد أن طمأن قلوبهم، أن يصحح مفاهيمهم، ويبين لهم حقيقة الأمر من فقر وغنا.

والغرض من النصح بعد بث الطمأنينة في نفوسهم: هو تهيئة أسماعهم وقلوبهم لقبول النصح والوصية التي سيسديها إليهم بعد ذلك، مما يسهم في تلقي النصح من المخاطب بصدر رحب.

وقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أكثر ما يخافه على أمته وأكد على ذلك بقوله: (فوالله ما الفقر أخشى عليكم)، وهذا التوكيد فيه إنزال لغير المتردد منزلة المتردد؛ لأن الأصل أن يخشى الناس الفقر ويستبشروا ببسط الدنيا.

ولهذا: أكد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الأمر مختلف عند الله وعند رسوله: إذ إن مضرة الفقر مضرة دنياوية؛ فقد يؤدي الفقر إلى الحرمان من بعض متاع الدنيا.

أما مضرة الغنا: فهي مضرة أخراوية، لأن الغنا قد يدفع الإنسان إلى التنافس على الدنيا والشغل عن الآخرة، وهذا ما دل عليه بقية الحديث.

وقد جاءت كلمة الفقر معرفة ب(ال) العهدية، ودلالة ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يخبر أصحابه بأن حالهم لا يخفى عليه، وأنه يعلم حاجتهم إلى هذا المال، ورغم ذلك فهو لا يخشى عليهم هذا الفقر الذي هم فيه: وإنما يخشى عليهم فتنة الدنيا.

وقد قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) الفقر في قوله (ما الفقر أخشى عليكم): لتخصيصه والتنبيه عليه أنه ليس هو المخشي منه، وإنما المخشي منه هو بسط الدنيا. (٤٣)

وقد دل على ذلك أسلوب القصر في الحديث: إذ قصر النبي (صلى الله عليه وسلم) كل خشيته على أمته من بسط الدنيا عليهم، خشية أن يكون حالهم فيها كحال من سبقهم من الأمم.

وقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم): فإن البسط هو: الامتداد:

يقال بسطت الشيء أبسطه بسطا إذا مددته على الأرض.، وتبسط الرجل على الأرض إذا استلقى وامتد. (٤٤)

ولهذا: فإن قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (تبسط عليكم الدنيا) فيه استعارة مكنية: حيث شبه النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا بمظلة كبيرة تبسط على الناس فينعموا فيها، غير أنها تحجب عنهم نور الحق ويغشى قلوبهم سواد المعاصي.

وقوله (كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم): تشبيه مرسل ☹ ٤٥) حذر به النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن يكون حالهم كحال من سبقهم، بسطت عليهم الدنيا، فتنافسوها، وألهتهم عن عبادة ربهم.

وقوله: (فتنافسوها) بالتسهيل بحذف أحد التاءين: يوحي بشدة الإسراع في التنافس في الدنيا، والمنافسة عليها إذا بسطة على الناس.

وهذا ما يؤكد عليه العطف بحرف الفاء، الذي يوحي بالإسراع في تنفيذ الفعل.

- الحديث الثاني

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال:

بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ». (٤٦)

يروي معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه –في هذا الحديث– موقفا حدث بينه وبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وذلك عندما كان معاذ راكبا ذات يوم خلفه على راحلته، لا يفصل بينه وبين النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا آخرة الرحل. (٤٧)

ولا يخفى على المتأمل لرواية معاذ –رضي الله عنه– لهذا الحديث: شعوره بالفخر والاعتزاز والفرح بهذا التشريف الذي شرفه به النبي صلى الله عليه وسلم، –بأن أردفه خلفه على راحلته–.

والغرض من النداء في قول النبي (صلى الله عليه وسلم) يا معاذ: إنما هو تنبيهه وتهيئة ذهنه وعقله وقلبه ليعي ويفهم ما سيلقى إليه من حديث.

وفي هذا دليل على أهمية هذا الحديث الذي يلي هذه التنبيهات، وضرورة ألا يمر هذا الكلام مرور الكرام، وإنما أراد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يستوعب معاذ كل ما سيقال له لما لهذا الكلام من كبير الأثر على حياة من فهمه وعقله.

وللعلماء في تصنيف أداة النداء يا –بين أحرف النداء– وجهان.

أحدهما أن تكون يا للمنادى القريب والبعيد على حد سواء، فعلى أساس ذلك يكون استخدام يا في هذا السياق مناسبا للواقع؛ حيث كان لا يفصل بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وبين معاذ إلا آخرة الرحل.

والوجه الآخر أن تكون يا للبعيد فقط دون القريب، فيكون الغرض منها في هذا السياق هو شدة التنبيه على ما بعدها؛ لشدة أهميته وعظيم نفعه. (٤٨)

وفي هذا الوجه خروج للكلام عن مقتضى الظاهر؛ إذ إن الظاهر أن يا للبعيد ولكنها أتت على غير الظاهر؛ إذ وجهت للقريب لعلة بلاغية وهي: دفع المخاطب للشعور بأهمية كلام المتكلم. (٤٩)

والغرض من فصل النبي صلى الله عليه وسلم بين كل نداء والذي يليه في الحديث: هو تشويق المتلقي، وإشعاره بخطورة الكلام قبل التلفظ به صراحة.

ومن شأن ذلك أن يدفع المتلقي لمحاولة توقع ما الذي يمكن أن يقوله المتكلم، ومع كل نداء يشعر المتلقي بخطورة الكلام أكثر مما سبق، وفائدة ذلك أن هذا الأسلوب يدفع المتلقي لاستدعاء أقصى درجات التركيز والانتباه لديه. (٥٠)

وما كان من معاذ رضي الله عنه بعد أن سمع نداء النبي (صلى الله عليه وسلم): إلا أن أجاب بقوله: (لبيك يا رسول الله وسعديك)، ويدل ذلك على شدة الحب والود الذي ملأ قلب معاذ للنبي (صلى الله عليه وسلم)، حتى أنه لم يجبه بقوله نعم أو ماذا أو مثل ذلك، ولكنه قال لبيك يا رسول الله وسعديك؛ أي إجابة لك يا رسول الله بعد إجابة، وطاعة لك بعد طاعة، واتجاها إليك يا رسول الله بعد اتجاه، وإسعادا لك بعد إسعاد. (٥١)

وقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "هل تدري ما حق الله على عباده؟": هو استفهام الغرض منه التشويق ثم التعليم، وليس الغرض منه هو الاستجواب.

وفي إجابة معاذ على سؤال النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: (الله ورسوله أعلم: دليل على كمال أدب معاذ رضي الله عنه؛ إذ إنه من المعلوم أن الجواب على سؤال ابتدئ ب(هل) ان يكون ب(نعم) أو (لا)، غير إن معاذ رضي الله عنه فهم أن الغرض ليس الاستجواب، ولكن الغرض هو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أراد أن يعلمه ما كان يجهله؛ ولذا أجاب رضي الله عنه بقوله: (الله ورسوله أعلم). (٥٢)

وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) معاذ –بعد هذا التشويق– بجواب تضمن نوعا آخر من أنواع التشويق وهو: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد صدر جوابه بجزء من السؤال، وقد استكمل هذا الجزء من السؤال في صدر الجواب بقية الاستثارة والتشويق والجذب لكلام النبي (صلى الله عليه وسلم).

فقال (صلى الله عليه وسلم): "حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا".

ويدل كل هذا التشويق على خطورة ما يأتي بعده من كلام؛ لضمان ألا يفوت معاذ من فحوى الكلام شيء.

ودلالة تنكير كلمة (شيء): هو العموم والشمول.

والمقصود هو ألا يعبد غيره، وأن يعلم أن له الخلق والأمر، ومن دونه لا يملك ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله.

ويدل قول معاذ رضي الله عنه –بعد أن روى لنا ما حدثه به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أن لله على عباده حقا وهو أن لا يشركوا به شيئا– يدل قوله (ثم سار ساعة) على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يورد الكلام إلى معاذ تباعا خشية

أن ينسي الكلام بعضه بعضا، وإنما تركه فترة ليتدبر فيها مقالة النبي صلى الله عليه وسلم، وليلج الكلام إلى عقله وقلبه، ثم ليستفهم إذا استشكل عليه أمرا.

وفي هذا دليل على حكمة النبي (صلى الله عليه وسلم) في تربية النشأ وتعليمه، والتي تتمثل في الصبر عليهم حتى يتمكن الكلام في الذهن، وإعطاء الفرصة للاستفسار والاستفهام وتهيئة الجو المناسب للتعليم والنصح والإرشاد، كما فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) من إردافه لمعاذ خلفه على راحلته. (٥٣)

وقد أعاد النبي (صلى الله عليه وسلم) النداء لمعاذ مرة أخرى؛ ليتنبه مجددا، استعدادا لسرد بقية الحديث له بعد أن أمهله الفترة التي كفته ليتدبر فيها ويستوعب ما قيل له آنفا.

وقد أجاب معاذ رضي الله تعالى عنه بنفس الجواب الذي ينم عن أدب كبير وخلق رفيع وكبير حب للنبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: (لبيك رسول الله وسعديك).

وقد انتهج النبي (صلى الله عليه وسلم) نفس الأسلوب التعليمي المذهل في تنبيه معاذ رضي الله عنه وتشويقه واستثارة ذهنه، قبل أن يلقي إليه ببقية الحديث؛ إذ إن آخر الحديث لا يقل أهمية عن أوله.

وقد أعاد النبي (صلى الله عليه وسلم) طرح سؤال آخر لتتم الفائدة ويكتمل المغزى فقال (صلى الله عليه وسلم): "هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه".

وقوله (صلى الله عليه وسلم) حق العباد على الله: إنما هو من باب المجاز العقلي، إذ لا أحد ملزم لله رب العالمين، ولكن لأن قول الله هو الحق ووعده الحق: فصار وعده لهم بأن لا يعذبهم حقا مضمونا لهم عند الله. (٥٤)

وفي قوله (صلى الله عليه وسلم): "إذا فعلوه"، إنشاء غير طلبي، تمثل في أسلوب الشرط.

وفي هذا إشارة من النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى أن تحقيق هذا الشرط هو سبب للوقاية من عذاب الله غدا، غير إن القليل من الناس من يخلص العبادة لله وحده، ولا يرائي بعبادته أحد، ولا يخشى أحد إلا الله، ولا يستجير ويرجوا العون من أحد إلا الله. (٥٥)

وفي نهاية الدراسة يلاحظ كثرة المؤكدات اللفظية والمعنوية في الأحاديث التي أخبر فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بالأمور الغيبية؛ لنفي الشك والتوهم.

كما يلاحظ تنوع الأساليب الإنشائية، والتي جاءت أغلب الأحيان لإصلاح القناعات الخاطئة، وتصحيح المفاهيم، ونصح المخاطب وإرشاده.

وكذلك يلاحظ كثرة الأساليب الإنشائية في الأحاديث الموجهة لخطاب الشباب؛ وذلك لما في الأساليب الإنشائية من دفع للمخاطب إلى المشاركة الوجدانية في الحديث، وكذلك لأثر الأساليب الإنشائية في جذب الانتباه واستحضار الصور.

الهوامش

(١) انظر: **أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (٥٥/١)، المكتبة العصرية، بيروت.**

(٢) انظر: **أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، (٤٥/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثال ثة١٩٩٣م**

(٣) انظر: **محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، (٦٥/١-٦٩) تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة.**

(٤) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، (٧٠/١)**

انظر أيضا: علوم البلاغة (٤٩/١)

(٥) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، (٧٠/١)**

انظر أيضا: علوم البلاغة (٤٩/١)

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٦٤٩٣)، **محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه،** باب: الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها، (١٠٣/٨)، تحقيق: **محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأول ى١٤٢٢هـ**

(٧) قال عز وجل: **{يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [سورة الإنسان: ٣١]**

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لا يُدْخِلُ أَحَدًا الجَنَّةَ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»

أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٦٤٦٧)، صحيح البخاري، باب: القصد والمداومة على العمل، (٩٨/٨)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " خَرَجَ مِنْ عِنْدِي خَلِيلِي آنِفًا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، إِنَّ لِلَّهِ لعَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ عَبْدَ اللهِ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ عَرْضُهُ وَطُولُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا مُحِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةُ آلَافِ فَرْسَخٍ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَأَخْرَجَ اللهُ لَهُ عَيْنًا عَذْبًا بِعَرْضِ الْأُصْبَعِ تَبُضُّ بِمَاءٍ عَذْبٍ فَيُسْتَنْقَعُ فِي

أَصْلِ الْجَبَلِ، وَشَجَرَةَ رُمَّانٍ تُخْرِجُ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً فَتُغَذِّيَهُ فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ فَأَصَابَ مِنَ الْوَضُوءِ وَأَخَذَ تِلْكَ الرُّمَّانَةَ فَأَكَلَهَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى صَلَاتِهِ فَتَمَنَّى مِنْ رَبِّهِ عِنْدَ وَقْتِ الْأَجَلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا وَأَنْ لَا يَجْعَلَ لِلْأَرْضِ وَلَا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلًا حَتَّى يَبْعَثَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ فَفَعَلَ فَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا وَإِذَا عَرَجْنَا فَنَجِدُهُ فِي الْعِلْمِ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِيَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. فَيَقُولُ: رَبِّ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ: أَدْخِلُوا عَبْدِيَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: بَلْ بِعَمَلِي. فَيَقُولُ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَايِسُوا بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ، فَيُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَتِهِ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلًا عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَدْخِلُوا عَبْدِيَ النَّارَ، قَالَ: فَيُجَرُّ إِلَى النَّارِ فَيُنَادِي رَبِّ بِرَحْمَتِكُمْ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رُدُّوهُ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى فَيَقُولُ: يَا عَبْدِي مَنْ خَلَقَكَ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ له: أَكَانَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِكَ أَمْ بِرَحْمَتِي؟ فَيَقُولُ: بَلْ بِرَحْمَتِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ قَوَّاكَ لِعُبَادَةِ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ؟ [ص:٣٤٣] فَيَقُولُ: أَنْتَ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْزَلَكَ فِي جَبَلِ وَسَطَ اللُّجَّةِ وَأَخْرَجَ لَكَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ، وَأَخْرَجَ لَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً، وَإِنَّمَا تَخْرُجُ فِي السَّنَةِ مَرَّةً، وَسَأَلْتَنِي أَنْ أَقْبِضَكَ سَاجِدًا فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَلِكَ بِرَحْمَتِي فَبِرَحْمَتِي أُدْخِلْتَ الْجَنَّةَ أَدْخِلُوا عَبْدِيَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي فَنِعْمَ الْعَبْدُ كُنْتَ يَا عَبْدِي فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا الْأَشْيَاءُ بِرَحْمَةِ اللهِ يَا مُحَمَّدُ".

أخرجه البيهقي بسند ضعيف في شعب الإيمان برقم: (٤٣٠٠)، **أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، شعب الإيمان، (٣٤١/٦)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ**

(٨) قال تعالى: **{قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [سورة الأعراف: ١٥٦]**

وقال تعالى: **{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [سورة آل عمران: ١٢٩]**

قال أبو جعفر: يعني بذلك تعالى ذكره: ليس لك يا محمد، من الأمر شيء، ولله جميع ما بين أقطار السموات والأرض من مشرق الشمس إلى مغربها، دونك ودونهم، يحكم فيهم بما يشاء، ويقضي فيهم ما أحب، فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمرَه ونهيه، ثم يغفر له، ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه، وهو الغفور الذي يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضله عليهم بالعفو والصفح، والرحيم بهم في تركه عقوبتهم عاجلا على عظيم ما يأتون من المآثم.

انظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (٢٠٣/٧)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(٩) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " **إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**".

أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٧٤٢٢)، صحيح البخاري، باب: وكان عرشه على الماء، (١٢٥/٩)

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٧٤٣٩)، صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة}، (١٢٩/٩)

(١١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ "، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ".

أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٢٧٦٦)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٢١١٨/٤)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(١٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم: (١٤٣٧٣)، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (٢٧١/٢٢)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، طبعة: مؤسسة الرسالة.

(١٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٦٤٧٨)، صحيح البخاري، باب: حفظ اللسان، (١٠١/٨)

(١٤) انظر: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري لابن بطال، (١٨٧/١٠)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م

(١٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ".

أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٦٠١٨)، صحيح البخاري، (١١/٨)

(١٦) «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا».

دل قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: "وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقا"، على الاستمرارية والمجاهدة في قول الصدق، ولو كان قوله مرا أحيانا.

وقوله صديقا، هي صيغة مبالغة للدلالة على لزوم هذا العبد الصدق، وعدم انفكاكه عنه في كل أحواله.

ودلالة صيغة المبالغة (صديقا) في هذا السياق هي من قبيل الجزاء من جنس العمل؛ فكأن هذا العبد لمبالغته في تحري الصدق، ما كان له جزاء عند الله إلا أن كتبه عنده صديقا.

أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٢٦٠٧)، صحيح مسلم، (٢٠١٣/٤)

(١٧) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٦٥٣٩)، صحيح البخاري، (١١٢/٨)

(١٨) أخرجه ابن ماجه في السنن برقم: (٤٣٠٠)، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، (٢/ ١٤٣٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

(١٩) انظر: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٧٢/٢٣)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٣٢٤٤)، صحيح البخاري، (٤/ ١١٨)

(٢١) أخرجه الترمذي في السنن برقم: (٢٥٣١)، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الجامع الكبير – سنن الترمذي، (٤/ ٦٧٥)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م

(٢٢) انظر: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (٢٧٤/٩)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

(٢٣) انظر: **محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (١٤/ ٣٣٤)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ**

(٢٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٢٨٤٤)، صحيح مسلم، (٤/ ٢١٨٤)

(٢٥) **عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قَالَ: " أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَرَأَ {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٧] " ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»**

أخرجه ابن ماجه في السنن برقم: (٣٩٧٣)، سنن ابن ماجه، (٢/ ١٣١٤)

(٢٦) انظر: جواهر البلاغة، (٦٩/١)

(٢٧) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، (٥٢/٣)

(٢٨) انظر: علوم البلاغة، (٦١/١)

(٢٩) انظر: المصدر السابق، (٧٥/١-٧٦)

(٣٠) انظر: جواهر البلاغة، (٧٦/١-٧٧)

(٣١) انظر: **يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، (٣٠٨/١)، دار الكتب العلمية، بيروت.**

(٣٢) انظر: **علي بن نايف الشحود، الخلاصة في علوم البلاغة، (١١/١)، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأول ى٢٠٠٧مـ**

(٣٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، (٥٦/٣-٦٨)

(٣٤) انظر: المصدر السابق، (٦٨/٣)

(٣٥) انظر: علوم البلاغة، (٦٢/١)

(٣٦) انظر: المصدر السابق، (٦٢/١)

(٣٧) انظر: جواهر البلاغة، (٨٧/١)

(٣٨) انظر: الخلاصة في علوم البلاغة، (١٣/١)

(٣٩) انظر: علوم البلاغة، (٨١/١)

(٤٠) انظر: المصدر السابق، (٨١/١)

(٤١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٦٤٢٥)، صحيح البخاري، باب ما يحذر من فتنة الدنيا والتنافس فيها، (٩٠/٨)

(٤٢) أخرجه أبو داود برقم: (١٠٣٤)، مسند أبي داود، (٢٩١/٢)

(٤٣) انظر: شرح القسطلاني، (٢٤٤/٩)

(٤٤) انظر: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، (٣٣٦/١)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

(٤٥) التشبيه: هو بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة، وأركانه أربعة هي: المشبه والمشبه به ويسميان طرفا التشبيه وأداة التشبيه ووجه الشبه ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به منه في المشبه.

كقول الشاعر:

أنت كالليث في الشجاعة وألاق دام والسيف في قراع الخطوب

أقسام التشبيه:

– التشبيه المرسل وهو: ما ذكرت فيه الأداة، نحو: وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق.

– التشبيه المؤكد وهو: ما حذفت منه الأداة، مثل: قوله تعالى: {وهي تمر مر السحاب}

– المجمل وهو: ما حذف منه وجه الشبه، مثل: "العالم سراج أمته".

– المفصل وهو: ما ذكر فيه وجه الشبه، كقول الشاعر: أنت كالشمس في الضياء وإن جاء وزت كيوان في علو المكان.

– البليغ وهو: ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه، نحو: "علي أسد"

انظر: جواهر البلاغة، (٢١٩/١)

(٤٦) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٦٥٠٠)، صحيح البخاري، باب من جاهد نفسه في طاعة الله (١٠٥/٨)

(٤٧) الرحل: ما يوضع على ظهر البعير كالسرج للفرس، وآخرته العود الذي يجعل خلف الراكب يستند إليه.

انظر: لسان العرب، (٢٧٥/١١)

(٤٨) انظر: **محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (المتوفى: ٣٨١هـ)، علل النحو، (٣٤٧/١)، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد – الرياض / السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ**

(٤٩) انظر: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، الإيضاح في علوم البلاغة، (٩١/٣)، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة.

(٥٠) انظر: عمدة القاري، (٧٨/٢٢)

انظر أيضا: شرح القسطلاني، (٤٨٧/٨)

انظر أيضا: **محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخولي، الأدب النبوي، (١٨٣/١)، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الرابع، ١٤٢٣ هـ**

(٥١) انظر: **أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري**، العين، (٣٤١/٨)، تحقيق: **د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،**

انظر: **أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري**، العين، (٣٤١/٨)، تحقيق: **د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،**

انظر أيضا: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الزاهر في معاني كلمات الناس، (١٠٣/١)، د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ

(٥٢) انظر: **الأدب النبوي، (١٨٣/١)،**

(٥٣) تعالج هذه الاستراتيجية النبوية الحكيمة: المشكلات التعليمية المعاصرة، والتي من أشهرها على سبيل المثال لا الحصر: ظاهرة الدروس الخصوصية، والتي ترجع أسبابها إلى قلة فهم واستيعاب الطالب في حصة الدرس المدرسي؛ لالتزام المعلم بوقت محدود لينهي المنهج الذي أسند إليه تدريسه، والذي لا يمكن تجاوزه بغض النظر عن ما إذا استوعب الطلاب الدرس أم لا، فيلجأ الطالب على إصر ذلك إلى طلب المزيد من الإيضاح لما استشكل عليه في الدرس المدرسي من خلال الدروس الخصوصية، فلو أن المعول عليه في الأصل كان الفترة التي يحتاج إليها الطالب في المتوسط حتى يفهم الدرس: لما احتاج الطلاب إلى المزيد من حصص الدروس خارج وقت المدرسة.

(٥٤) انظر: عمدة القاري، (٧٨/٢٢)

انظر أيضا: شرح القسطلاني، (٤٨٧/٨)

(٥٥) انظر: الأدب النبوي، (١٨٣/١).

قائمة المصادر والمراجع

ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م

ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السيستاني، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، طبعة: مؤسسة الرسالة.

أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت.

أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ

أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»،

علي بن نايف الشحود، الخلاصة في علوم البلاغة،

محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: **محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأول ى١٤٢٢هـ**

محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة.

محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، الجامع الكبير – سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م

محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت.